وينال من هذي الحياة سعادة ... ويعيش في هذا الفضاء المطلق
يا غادة الشرق التي قد نالها ... ذل الدهور وشقوة المتلهوق (١)
قومي اطلبي حقاً تداعى ركنه ... واستذرعي الحق الذي لم يخفق
يكفيك ذلا في الحياة فانما ... ألموت أليق من حياة المملق
معنى حياتك ان تكون حرة ... تتنعمين بنعمة المستنشق

* * *

اي غادة الشرق التعيس تنبهي ... أو فانظري للغرب نظرة موثق
تجدى فتاة في الحياه طليعة ... تلهو وتمرح كالمها والأنيق
تلهو بآيات الوجود كأنها ... ملك تردى بالجلال المونق
تحظى بنور العلم وهي عليمة ... ومن المعارف والعوارف تستقي
قامت تطير بعلمها فكأنها ... اسد يطير بخفة كالبيدق
في الجو تخترق الفضاء مشيرة ... لا يرتقي العلياء من لا يرتقي

رياض اسكندر البهاوي

المرأة في بيتها

« امرأة فاضلة من يجدها لان ثمنها يفوق اللآلي بها »
« يثق قلب زوجها فلا يحتاج الى غنيمة تصنع له خيرا »
« لا تمرأكل ايام حياتها تطلب صوفاً وكتاناً وتشتغل »
« بيدين راضيتين » سليمان الحكيم

قال بسمرك نابغة الالمان الدائع الشهرة « احب المرأة في المطبخ »
وقال الكاتب الفرنساوي مونلوزييه : « أولى علامات السعادة المنزلية حب المرأة ليتها »

(١) المتلهوق الذي يفتخر بمحاسن ليست فيه فهو شقي بها

وقال آخر : البيت مملكة صغيرة والمرأة ملكتها

ولا عجب اذا كان عظماء الرجال وفلاسفة الازمان يهتمون بالمرأة ويقدرون اهمية مركزها ومسؤليتها العظيمة في شؤون الحياة : ولو اختلفت الاقوال فالكل مجمع رأيه على ملزوميتها بنظام المنزل وتدبير شؤونه . وذلك العمل المقدس جدير بان يدعي مملكة صغيرة تدير حركتها وشؤونها المرأة

قصد بسمرك ان يعبر عن اهمية المرأة ويعرفها مركزها فقال عن حكمة . « احب المرأة في المطبخ » أي تلك التي تهتم بتدبير منزلها وتربية اولادها وملاحظة خدمها والاجتهاد في راحة زوجها وقسيمها في الحياة . ذلك هو الغرض السامي الذي رمى اليه ذلك السياسي العظيم . لا يريد ان تكون طبيبة الا في تمريض عائلتها ولا سياسية الا في ادارة شؤون منزلها ولا محامية الا عن اطفالها ورجلها ولا كاتبة حاسبة الا فيما يتعلق بمصروفها وأمور معيشتها . يريدها ويحبها ان تكون امرأة بمعنى الكلمة زوجة وأمّ ومملكة على عرش منزلها

هذه هي المرأة التي يشير اليها كبار الرجال ويضربون لها الامثال . فاذا كانت لها هذه المزايا والمحاسن فهي التي يذكرها سليمان الحكيم في امثاله بان « ثمنها يفوق اللآلي »

ومن المعيب ان تكون المرأة ملمة باصول العلوم وفرعها وتتباهى بسمو مداركها وكثرة معارفها وتتيه افتخاراً على اقرانها في حين انها لا تدري كيف تعمل السلطة البسيطة ! ! اني من الذين يحثون على تعليم المرأة والمحبين لرقيها ولكن ليفكر القوم ان هناك مدرسة أخرى لا تقل أهمية عملها عن ذاك التعليم الا وهي المدرسة المنزلية : فليس للمرأة فقط ان تتلقى العلوم والمعارف بل يجب في كل حال تطبيق العلم على العمل : ولا عجب اذا رأينا الآن ان نظارة المعارف تنبهت لهذا الامر وعرفت مقدار اهميته فأنشأت في هذا العام مدرسة للتدبير المنزلي ونعم ما فعلت : انها فكرة سديدة وعمل مبرور يستحق ان يقرن بالمديح والثناء

ان المرأة هي المسؤلة عن أمور منزلها وملاحظة شؤون اولادها لان الرجل

يقضي معظم اوقاته خارج المنزل فلا مندوحة له من مباشرة تربيتهم الا في بعض الاحيان وعلى ذلك كان على المرأة بحكم الحال القيام بتربيتهم التربية الاولية التي هي الاساس لاعدادهم لكي يكونوا ابطال المستقبل

ومن الغريب ان تسلم الوالدة طفلها وفلذة كبدها الى تلك المرضع او « الدادة » وهي لا تدري كيف كانت اخلاقها فتسير به في الطرقات لا تسمعه الا الفاظ البذاءة وقلة الحياء فيكتسب كثيراً من عيوبها ونقائصها كالآلة الفوتوغرافية التي تلتقط صور الاشباح حسنة كانت او رديئة : لعمري ان ذلك ضرب من الحماقة ونوع من الجنون . ان الطفل الصغير كالعجينة اللينة تصاغ في اي قالب توضع فيه فاذا ما وضعت في قالب الكمال وطبعت فيها الفضائل والخصال الحميدة فسدت لا محالة ولا يمكن اصلاحها اذ من شب على شيء شاب عليه

ترى المتزيات من النساء يتربعن على منصة الامارة يأمرن الخدم من بعيد ويترفعن عن مباشرة المطبخ او الاطلاع على احوال المنزل لا دأب لهن سوى الاسراف على الملابس والملاهي ولا شغل لهن غير الخمول والكسل : ولكن يظهر أن اغنياءنا حفظهم الله يتعمدون اكثار الخدم والحشم افتخاراً وليت كان الامر قاصراً على ذلك بل انهم يسلمون اليهم تربية الاولاد ومباشرة شؤون المنزل الى غير ذلك من مسببات الدمار ومجلبات الخراب والبوار

ومما يدخل في حكم هذه النقائص ان المرأة لا تهتم باقتصاد شيء يقيها شر العوز في مستقبل الايام اذ كيف تأمن غائلة الفقر ومن لم يتبصر في تدبير أموره خانه الدهر فهل تريد من زوجها ان يكون في حالة عسره كما هو في حالة رخائه وصفو ايامه ؟ وكلنا نعرف حكاية الصرصور والنملة التي تعلمنا الاقتصاد والنظر في مستقبل الامور

قرأت مرة في حكايات الاقدمين ان ربة احدى البيوتات الكبيرة شاهدت ذات يوم ان النمل يخرج من منزلها حاملا مؤنته الى جهة اخرى و بعدها لاحظت ان قلّت خيراتها وعجزت مصروفاتها وضاقت معيشتها فتوجهت لاحد حكماء ذاك

العصر وشاورته في امرها فقال سأعطيك امانة تكفيك شر هذا الخراب ثم عمد الى صندوق صغير وسلمه اليها قائلا خذي هذا الطلسم فتحمليه بنفسك وتسيري به حول منزلك صباح مساء فيزول ما يتهددك من الدمار انشاء الله ففعلت كما امرها وما مضت ايام قلائل حتى عادت الاحوال الى مجاريها وعمّ الخير والنمل بعد ان كان خارجا هاربا عاد داخلاً الى اوكاره ولكنها كانت تعجب من سر هذا الطلسم المدهش فقالت ما علي لو فتحت هذا الصندوق و بعد تردد قليل فتحته فوجدته خالياً خارياً ليس فيه سوى وريقة صغيرة كتب عليها هكذا :

ما حكّ جلدك غير ظفرك فتولّ انت جميع امرك

فادركت للحال حيلة ذلك الحكيم وعلمت ان الخدم كانوا يسرقونها فصار من واجباتها الاطلاع على اعمال منزلها وان لا تسلم اموره لخدمها

ليس من شروط الزوجية فقط ان تبادل الزوجة زوجها المحبة وتخلص له الامانة بل عليها اتماماً لمحاسن هذه الخصال ان تكون له عضداً ومعيناً في السراء والضراء وان تتعهد احوال منزلها بالمراقبة الدائمة كالجندي الواقف في نقطته يرسل نظره الى كل مكان من الافق لاستكشاف العدو فاذا بدأ لها خلل في شيء ما بادرت الى ملافاته : ولا تظنن المرأة ما دامت دعيت بالجنس اللطيف انها خلقت لكي تستأثر القلوب برقتها وتستهوي الافئدة برشاقتها لا همّ لها الا التبرج والزينة : بل لتعلم انها خلقت لغاية هي اسمى واشرف من التداني لمثل هذه الامور فانها وجدت لكي تستأثر القلوب بفضائلها وتستهوي الالباب بحسن تدبيرها وتصرفاتها وفي قدرتها ان تجعل بيتها نعيماً يأوى اليه الزوج لالتماس الراحة من متاعب الحياة اليومية فيزول عنه العناء وينتزع من قلبه غشاء الهموم ويقضي فيه اوقات فراغه بلا ملال يقاسم زوجته واولاده المسرة والهناء

فاذا حوت المرأة هذه الفضائل السامية كانت هي المرأة الفاضلة التي اشار اليها سليمان الحكيم بل التي قال عنها التاريخ انها تهز سرير الملك بيمينها والمعمورة بشمالها

(ص . الياس)